مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: روزاليوسف

التاريخ : ١٩٩٤/٢/٧

داخل شقة متواضعة في مبنى على الطراز الإيطالي القديم بشارع البستان ، وسط القاهرة تعيش الآن سيدة عجوز اسمها إقبال ماضي لو غادرت الشقة إلى الشارع لن يعرفها أحد .. لكنها كانت يوما ما زوجة لرئيس الجمهورية السابق : محمد انور السادات .

الزوجة الأولى للسادات على فراش المرض:

أنقذته من مطاردة البوليس وأنفقت عليه في السجون ووافقت على زواجه من جيهان!

□ لماذا طلقها السادات وأمرها بالعودة إلى «ميت أبو الكوم»، وأصرت هي على الاقامة في القاهرة؟!

تقترب من عامها الثمانين، انجبت ثلاث بنات للرئيس الراحل إلا انها لم تحظ ابداً بلقب السيدة الاولى .. وبقيت دائما تعيش في الظل، بعد ان طلقها الرئيس عقب زواجه من السيدة جيهان صفوت المعروفة باسم جيهان السادات.

رغم هذا فنحن الآن في شقة تنتمي لبيت الرئيس الراحل، بمنطق من يعيشون فيه . هنا الرئيس هو «بابا» والوزير «عمو» .. والمحافظ «انكل» والصورة المعلقة على الحائط لرجل بارز من عائلة «ماضي» كان يوما صهر الرئيس السادات، وتلك التي فتحت الباب وقدمت عصير البرتقال خادمة لابنة الرئيس السيدة راوية السادات.

السيدة راوية متوسطة الطول ورثت وجه ابيها مع اختلاف في لون البشرة .. هي افتح قليلاً ..

بماكياج خفيف ، وتايير أسود وبلوزة بخطوط حمراء وبيضاء ، قدمت لى قطعة شيكولاتة .. وبدأت تمهد للاعتذار عن الحديث قالت : الصحافة تجر علينا المشاكل ، وفى كثير من الاحيان سببت لنا بعض التوتر العائلى مع « طنط » جيهان .

فجاة دخلت طفلة صغيرة ، اختارت لعبة من بين لعبات كثيرة متناثرة فى الصالون ، اسمها « مى » اشارت إليها « راوية السادات » حفيدتى .. ابنة ابنى الذى درس العلوم السياسية ، لكنه عمل بنصيحة جده « بابا قال لنا مالكوش دعوة بالسياسة » .

و « مى » تنتمى للجيل النسائى الرابع من هذه الأسرة .. اما الجيل الأول فتمثله « إقبال ماضى » التى كانت قبل ما يزيد على نصف قرن سيدة ريفية ، متزوجة من ضابط مطارد لاشتغاله بالسياسة .. طلقها وابنتها الثالثة «كاميليا» فى احشائها ..

« الطلاق » قصة تروى باكثر من طريقة اما الزواج فقصته معروفة .. تقول كاميليا السادات فى كتابها « انا وابى » : كان أنور صديق «سالم» و «سيد» ابناء محمد ماضى عمدة ميت ابو الكوم ، وعندما تقدم ابى ليخطب «إقبال» كان اخوها غير الشقيق «محمد» هو عمدة القرية

الذى لا يقبل هذا العرض . لكن « رقية » - أم إقبال - السيدة المعروفة فى القرية - وسيد وسالم وافقوا عليه .

فى يوم الزفاف التقطت صورة نادرة للرئيس الراحل ، الذى كان يصغر زوجته بعام واحد .. بينما هى اقصر منه بنحو ٢٠ سنتيمترا . كانت تقف امامه فى فستان ابيض ، نصف كم ، تحمل فى يدها مجموعة من الزهور والحشائش تغطى نصف صدرها ، وقد صنعت فرقا يقسم شعرها إلى ثلث وثلثين . اما هو فكان يقف فى الصورة بزيه العسكرى الكامل وطربوش احمر .. وفى الخلفية : احواض زرع وفرع نخيل وسور شرفة تطل على ساحة البيت .

بعد ثلاث ليال من الزفاف ، انتقل انور السادات إلى بيت ابيه فى القاهرة حيث كانت تناديها أم السادات السيدة «ست البرين» بـ إقبال هانم .. بينما لم تكن تحبها الزوجة الاخرى لوالد السادات «امينة» وزوجة طلعت اخيه الاكبر .

انجبت « إقبال » طفلتها « رقية » التى تقول « كاميليا » انها عانت كثيراً من معاملة محمد السادات - والد الرئيس ، بينما انور فى السجن ، ورغم ذلك فإن « إقبال » كانت تسافر لتزور زوجها السجين فى المنيا ، وتبيع

مصاغها لتنفق على الأسرة وتوفر له طعاما خاصا .. بل إن اخاها «سيد» ساعده مرة فى الهروب من السجن وكان يتردد عليها وهو هارب ..

كانت زوجة ريفية بكل معنى الوفاء والإخلاص للزوج فى ظرف شديد القسوة لكن الرئيس الراحل ابعادها من حياته .. كان إذا تحدث عنها فى مواضع نادرة جداً من لقاءاته ذكرها قائلاً : « إقبال ماضى شقيقة عمدة ميت ابو الكوم » وذات مرة وبينما هو يكتب سيرته « البحث عن الذات » اغفل دور زوجته السابقة عندما هجم البوليس على البيت . ونسب دورها لاخيه الاكبر طلعت السادات .

يقول الرئيس الراحل فى صفحة ٥٢ من مذكراته : بعد الانتهاء من تفتيش حجرة نومى طلبوا تفتيش الحجرة المجاورة ، وكانت حجرة مكتبى .. قلت لهم إن حريم الأسرة بهذه الحجرة وان تقاليدنا تقتضى إخلاءها قبل دخولهم فسمحوا لى بذلك ، ودخلت الحجرة . كان بها جهاز اللاسلكى وصفيحة بارود كنا نصنعه فى القرية من خشب شجر الصفصاف والسماد . طلبت من اخى الاكبر طلعت ان ياخذ الصفيحة والجهاز ويخفيهما فى اى مكان .. وفعلا اخذهما طلعت وخرج من الباب الخلفى للبيت حيث دفن الجهاز فى وقود الفرن

وترك الصفيحة فى حراسة كلب .

لكن الرواية العائلية مختلفة .. تقول إن طلعت لم يكن سوى الزوجة ، التى فتحت الباب بالفعل امام المفتشين حتى يخجلوا منها وهى فى ملابس البيت . هى التى اخذت الجهاز والصفيحة ، واستغلت ابواب الغرف المفتوحة على بعضها حتى تهرب بالجهاز وتنقذ زوجها .

وتضيف الرواية العائلية فى تبرير عدم ذكر القصة الحقيقية : انه فقط لم يكن يريد ان « يزعل » « طنط » جيهان !

عندما دخلت جيهان حياة العائلة تبدلت احوالها كثيراً ، وحسب ما قالته كاميليا السادات فإن إقبال ماضى كانت مستعدة لان تقضى بقية حياتها كزوجة ثانية لانور السادات ، لكنه اختفى اربعة اشهر فى حلوان قبل ان يظهر ومعه ورقة الطلاق . تقول كاميليا : فى مايو ١٩٤٩ تزوج انور من جيهان . كان عمرها ١٩ عاما ، وكان عمره ٣٠ سنة ، وكانت امى فى الواحدة والثلاثين ، وفيما بعد قالت لى انها لا تعرف لماذا طلقها رغم انها وافقت على ان تصبح زوجة ثانية وتتنازل عن كبريائها . لكنها كانت تقول إن والدى جيهان كان شرطهما أن تكون ابنتهما بلا شريك .

ومضت الحياة ، الاضواء كلها مسلطة على الجانب الآخر .. بينما

الزوجة الريفية ترعى بناتها الثلاث .. وتقول لهن لا داعى لأن تعادوا « طنط » جيهان فهى زوجة ابيكم . تقول كاميليا انها لم تذكره او تذكرها بسوء . كانت تعلق صوره فى كل حجرة . وعندما عادت من الحج عام ١٩٧٢ قالت إنها دعت الله ، وانها سامحت انور وجيهان .

لكن الأيام فى الستينيات كانت تمضى بطريقة مختلفة .. بين فتور وقرب .. ففى عام كان ينسى اسرته الأولى بالكامل ، وفى عام آخر يرسل سائقه الخاص ليوصل « راوية وكاميليا » إلى المدرسة الالمانية .. وفى عام آخر اجرت « إقبال » عملية جراحية وبقى السادات بجوارها حتى ان المقربين منه ظنوا انه سوف يعود إليها .. غير انه بعد ان شفيت .. وبعد ان تزوجت «رقية» من طبيب فى الجيش اسمه امين ، اعاد مطلقته إلى ميت ابو الكوم واصطحب « كاميليا وراوية » إلى بيته لتقيما مع جيهان .

كان السادات ـ وقتها رئيس مجلس الامة ـ يصر على عودة إقبال إلى القرية . لكنها اقامت فى القاهرة مع احد ابناء عمها .. لاسيما ان « انور » ابلغها ان عقد الشقة قد الغى .

فى بيت « جيهان » استقبلت زوجة الاب البنتين .. وقالت

لهما : « إذا حدثت اى مشكلة عودا إلىّ ، ان انور يبلغنى بكل شىء » ، وكان من الطبيعى ان تشعر راوية وكاميليا بالغربة .. فاقتربتا من بعضهما اكثر .. ووجدتا فى والد جيهان شخصا عطوفا ، وفى داليا اختها ومحمود ابو وافية زوجها صدرين حنونين .

تقول كاميليا : كنا نعامل كفتاتين لا كطفلتين .. وكنا نرعى اخواتنا غير الاشقاء لبنى وجمال وجيهان التى كنا نناديها بـ « نانا » .

وبقيت إقبال بعيدة عن بناتها حتى جاء زوجان لهما . كانت راوية فى السابعة عشرة وكانت كاميليا فى الثانية عشرة .. وكان السادات يريد ان يزوجهما فى ليلة واحدة عندما يكون عمر كاميليا ١٤ عاما لكن زوج راوية رفض الانتظار ، فتقرر عقد القران المزدوج بينما ابنة الرئيس لم تزل طفلة . إن هذا هو نفسه ما حدث فيما بعد من جيهان ابنة السادات من جيهان .. ويبدو ان البيت كله كان حريصا على هذا التقليد الريفى .

هنا نتوقف عند زواج كاميليا ابنة إقبال ، ولاسيما ان قصة هذا الزواج ، ثم الطلاق كان له تاثير شديد على علاقة فرع الاسرة القديم بالرئيس السادات .

فى مذكراتها خاطبت كاميليا عقل

القارىء الغربى ، فقد نشرت كتابها فى الولايات المتحدة .. وتحدثت باستفاضة عن هذا الفولكلور الذى حدث فى ليلة الزفاف . تقول كاميليا : كنت انزل انا وراوية وجيهان نشترى الموبيليا . لم اكن اعرف كيف اضع الماكياج ، ولان امى كانت بعيدة عنى لم تكن لدى فكرة عما سيدور ليلة الزفاف ، ولهذا فإننى لم اجد امامى سوى زوجة الجنايني ، ام الهنا ، التى كلمتنى عن اشياء ملأتنى بالرعب .

فى يوم عقد القران شهد على العقد كل من عبد الحكيم عامر وجمال عبد الناصر ، وقد اقر الاثنان اننى فى سن الزواج ، وقضيت ليلة مريرة .. جاء ابى بعدها وهو يحمل ثلاثة اظرف كل منها تضم هداياه هو وعبد الناصر وعبد الحكيم .. فى كل منها مائة جنيه ، واصبح معى ٣٠٠ جنيه اكبر مبلغ رايته فى حياتى فى ذلك الوقت .

وقالت إقبال ماضى ، قبل لحظات من الزفاف لابنتها كاميليا عندما تذهبين لبيتك سوف اعلمك الطهو ، ولكن كانت هناك خادمة ريفية فى البيت تساعدها فى الاعمال المنزلية ، وبقيت كاميليا تدير البيت بمنطق الطفلة .. تفاجا بزوجها وقد عاد عصرا بعد ان اكل عند امه .. بينما هى جائعة . إذا طلبت منه اموالا فإنه يعطيها قرش صاغ لتشترى خبزا وجبنا .

كان السادات حريصا على ان تستمر العلاقة بين كاميليا

وزوجها ، وخاصة ان راوية كانت قد طلقت .. وهو يخشى ان تصبح لديه بنتان مطلقتان - وقد حدث ذلك بالفعل ولهذا فإنه وبخ ابنته عندما علم ان كاميليا اشركت عمها عصمت فى مشاكلها مع زوجها عز الدين ولاسيما ان العم توعده إذا ما عاد إلى ضربها .

كانت الابنة تشكو بخله ، وكانت إقبال ماضى تتدخل وتطلب منه ان يمنحها مالا لتدير بيتها ، فيقول بإصرار انها لم تزل طفلة ، وكان الزوج يصر على سلوكه معها .. يضربها فى البيت ، فإذا ما شكت لأبيها ، تودد وعاد يطلب رجوعها إلى البيت.

وتسببت كاميليا بفصاحتها فى ان تختصر هى الجناح الأول لاسرة السادات فى نفسها ، إذ اقتنصت الاضواء ، عرفها الصحفيون .. فنسوا إقبال ورقية وراوية .

اما السيدة إقبال ، فلم تظهر بعد وفاة زوجها السابق سوى مرة واحدة ، كان ذلك فى عام ١٩٨٤ ، بعد مصرع السادات بثلاثة اعوام . حيث حضرت حفل زفاف حفيدها محمد انور عفيفى ، ابن رقية السادات ، الذى كان يتزوج من فتاة تخرجت فى كلية الإعلام ، وكان الحفل مناسبة للقاء فرعى الأسرة ، ولاسيما ان كاميليا كانت تشن هجوما ضاريا على جيهان وبناتها فى الصحف الأمريكية .. وكان الجميع يريد ان يثبت ان العلاقات سمن على

عسل ، ولهذا فإن حسام السادات - شقيق الرئيس ومدير العلاقات العامة فى فندق ميريديان انتهز الفرصة وجمع بين جيهان و إقبال فى لقطة مصورة .

كانت جيهان نموذجا معتادا للمراة الاوروبية فى فستان فوشيا رشيق ، بينما كانت « إقبال » محجبة ، بفستان اسود ، عليه اوراق شجر فضية ، ممتلئة ، خطت السنوات الكثير من الآثار على وجهها .

فيما بعد مرضت السيدة « إقبال » واصبحت تقيم فى بيت ابنتها « راوية » بشكل شبه دائم ، وعندما اصبح من الضرورى ان تعالج فى مستشفى من نوع خاص توجهت إحدى بناتها إلى عمو « يوسف صبرى ابو طالب » وعرضت عليه الامر بناء على نصيحة اخويا جمال لان عمو يوسف رجل طيب . فامر وزير الدفاع بعلاج إقبال ماضى فى مستشفى المعادى .

ومنذ هذا اليوم تمضى إقبال السادات وقتها بين شارع البستان ومستشفى المعادى .. تسير ولا يعرفها احد .. تعانى من آلام فى العمود الفقرى ، ومتاعب فى عظام الحوض . تشتد دائما ولاسيما ان جراح الاعصاب يرفض ان يجرى لها اية جراحة ، لاسباب لها علاقة بالسن .

اما الابنة الكبرى « رقية » فتعيش فى شقة بجاردن سيتى على كورنيش النيل ، إيجارها ١٩ جنيها

فى الشهر .. وقد تسببت هذه الشقة فى إعلان اسمها فى الجرائد بعد ان اختلفت عليها مع زوجهاالسابق .

كان عمر الزواج وقت هذا الخلاف ربع قرن ، لكن الزوج قال فى ذلك الوقت «١٩٨٧» للصحف انها استغلت مغادرته للمنزل بعد احتدام الخلاف بينهما ، فتوجهت إلى مدير الشركة مالكة العمارة وقدمت طلبا رسميا طالبت فيه بتحرير عقد جديد للشقة وإلغاء العقد الاصلى . بعد ان قالت أن زوجها مستاجر الشقة يعيش الآن فى امريكا .

واما راوية الابنة الوسطى فمن الواضح انها تعانى من كونها ابنة الرئيس السادات .. وبعد أن تركت عدة وظائف هامة فى شركات ادوية ، لا تجد الآن عملا لأن الشركات تخاف من كونها ابنة رئيس ، ورغم ذلك فإنها تعيش مستقرة الحال فى شارع البستان .

ولكنها فضلت ان تطرح اسمها فى الاضواء مرة اخرى فى عام ١٩٨٧

عندما ارسلت للناشر احمد يحيى انذارا رسميا تطالب فيه بنصيبها من إيراد كتاب «وصيتى» الذى صدر فى نوفمبر ١٩٨١ ، ولم تتردد راوية فى ان ترفق انذارها بخطاب رسمى اخر فيه صورة إعلام الوراثة .

لكن كاميليا تبقى هى الشخصية المتميزة فى العائلة الاولى للسادات تحول هجومها الذى كانت تشنه عليه . راحت تلقى باللوم وتوجه الاتهامات يمينا ويسارا .

بعد هذا اصبحت كاميليا نجمة فى المجتمع الامريكى ، تظهر على شاشة سى . إن . إن فى بعض الاعلانات .. ثم شوهدت بعد مصر تحضر اجتماعات جمعية اسمها « النساء المتفائلات » ولم تنقطع عن الاحاديث التى تسببت فى قطيعة مع ابناء جيهان ، باستثناء جمال السادات .

اخر مرة حضرت فيها كاميليا إلى مصر كانت مضطرة بسبب مرض امها التى لا يعرفها احد ! ■

عبد الله كمال

▲ جيهان السادات تستقبل إقبال (زوجة السادات الأولى) فى احتفال أقيم بعد اغتيال الرئيس السادات بسنوات .

▲ جيهان السادات الابنة الصغرى للسادات من جيهان ولقاء حار مع زوجة أبيها الأولى إقبال .